
سلسلة دروس المنهاج النبوي 1
كيف نجدد إيماننا ؟
كيف ننصح لله و رسوله ؟
الأستاذ عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة دروس
المنهاج النبوي

❶

كيف نجدد إيماننا ؟
كيف ننصح لله ورسوله ؟

الأستاذ عبد السلام ياسين

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه.

الحمد لله الملك الوهاب الحكيم العليم، الفاتح أغلاق الأفئدة الهادي إلى الصراط المستقيم، القاسم أرزاق العباد فمقتر وذو سعة كريم، ونشهد أنه الله لا إله إلا هو البر الرحيم، فتق رتق أسماع أصفيائه فأصغوا إلى ذكر الله وما لغوا فيه، وروى بواطن قلوبهم باليقين المطمئن فسالت فيها أودية المحبة بقدر نبيه.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله رسوله مشكاة النور، وسراج الحضرة الربانية المصطفى المعصوم الأمين المبلغ المبرور، صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه أنبياء الله وآله وصحبه ومن والاه.[1]

---

(1) مقدمة المنظومة الوعظية.

أما بعد، إخواننا وأخواتنا نقدم بين أيديكم الحلقة الأولى من سلسلة دروس المنهاج النبوي التي ألقاها مرشدنا عبد السلام ياسين حفظه الله في مطلع هذا القرن المبارك، قرن الخلافة على منهاج النبوة نفرغها من الأشرطة المسموعة الأصلية. وفي مطبوعاتنا بعض التنقيحات أحيانا، فما المسموع كالمقروء.

والأمل معقود في أن تلقى هذه المبادرة استحسانا وقبولا من جميع الإخوة والأخوات.

فالقصد أن تعم الفائدة، ورجاؤنا فيه سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا متقبلا.

اللهم ارزقنا سلامة قلوبنا لتصلح لك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلا ليلة الثلاثاء 16 جمادى الأولى 1419 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[1]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[2]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾[3].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 102.
(2) سورة النساء، الآية 1.
(3) سورة الأحزاب، الآية 70-71.

إخوتي الأحبة، في مطلع هذه السنة الهجرية المباركة، في مطلع القرن الخامس عشر، في أول جمعة من هذا القرن، في اليوم السابع من شهر محرم الحرام سنة ألف وأربع مائة وواحد، نبدأ بحول الله معتمدين على عونه موافقين لتأييده ونصره، سلسلة من الدروس نتحدث فيها عن واقع المسلمين في الحاضر، ننظر فيها إلى ماضي الإسلام المجيد لكي نستشعر من هذا الماضي معاني الإيمان التي فقدناها، معاني الرجولة التي انجرفنا عنها، معاني الجهاد في سبيل الله الذي نكصنا عنه، معاني الإقبال على الله عز وجل وقد أعرضنا عنه.

ننظر إلى المستقبل بعين الذين ينتظرون أن يتحقق موعود الله، موعود الله لهذه الأمة أن يمكن لها الله في الأرض، وموعود الله للذين آمنوا أن يرضى عنهم ويدخلهم جناته في الآخرة بعد الموت. قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[1]. هذا وعد الله في الآخرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات. ويقول الله عز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[2].

هذا موعود الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة، هو جنات الفردوس خالدين فيها لا يبغون عنها حولا، وهذا وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض، أن يمكن لهم ويستخلفهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا.

مضى هذا القرن- الرابع عشر- وكله آفات حلت بهذه الأمة، وكله بلاء نزل بهذه الأمة، وكله فتنة عم شرها

(1) سورة الكهف، الآية 107-108.
(2) سورة النور، الآية 55.

المجتمعات الإسلامية حتى مس العقيدة في المسلمين. تقلص الإسلام طيلة هذا القرن من موقع العزة، من عزة الإسلام حين كانت له دولة. لأنه حتى في هذه العصور الأخيرة كانت للإسلام دولة، كانت تدافع عن المسلمين، كانت ترفع راية لا إله إلا الله، هي الدولة العثمانية «الخلافة العثمانية». لن نتعرض اليوم لمعنى الخلافة، وهل هذه الدولة الإسلامية تستحق أن تسمى «خلافة»، فليس هذا موضوع حديثنا.

بعد بلاء الفرقة، وبلاء التقاتل بين المسلمين، وبلاء فتنة الحكم، ابتلي المسلمون في هذا القرن بالهجمة الاستعمارية الصليبية، ثم ابتلوا آخر الأمر لكي تكون لله الحجة علينا، على هذه الأمة، على المتخاذلين، على المسؤولين الذين بيدهم القوة فتخاذلوا. لتكون لله عليهم حجة، ابتلينا باستعمار اليهود لأعز أرض من أرض المسلمين في فلسطين. ثم طغى على ساحة المجتمعات الإسلامية المبددة

المفرقة قادة ليسوا من الإسلام ولا إلى الإسلام، حكمونا بغير ما أنزل الله فخذلهم الله، فكانت حجة الله عليهم، لا على المستضعفين. والمستضعفون هم جماهير الأمة، هم شعوب هذه الأمة الذين حُكموا بالعصا والسيف والمدفع والقهر العنيف الشنيع. فها نحن نتحدث اليوم في مطلع هذا القرن المبارك إن شاء الله الذي نأمل ونرجو من ربنا عز وجل أن ينصر فيه الإسلام ويعلي فيه راية المسلمين. ها نحن نتحدث ففيما يكون حديثنا ؟

في كل جمعة إن شاء الله، نحن في مثل هذا الموعد في سلسلة نرجو أن تمتد أسابيع وشهورا وأعواما بحول الله كي نتحدث عن الإسلام والمسلمين.

فهل تكون دروسنا هذه دروس وعظ مسجدي؟ أم تكون دروس فقه حركي؟ أم تكون دروس تخطيط لمستقبل المسلمين؟ أم تكون دروس تحريض للمؤمنين على جمع

الشمل وعلى التهيؤ لاستقبال موعود الله لهذه الأمة في الدنيا واستحقاق موعود الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات في الآخرة ؟

سيكون بحول الله كل هذا الأمر. فإن الوعظ والتذكير بالله واليوم الآخر لا ينفك ولا ينفصل عن تذكير المسلمين بواجبهم الجهادي وإن هذا الواجب الجهادي يطلب منا إعداد القوة؛ قوة الفهم عن الله لنعلم ما يأمرنا به الله عز وجل، وقوة فهم الواقع لنعلم ما هي مقتضيات الجهاد الذي أمرنا به.

وكل هذا لا ينفك عن تذكير بعضنا بعضا بأن الله عز وجل بعث فينا رسلاً ختمهم بخاتم الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كي يدعونا إليه. يدعونا إلى جنته في الآخرة، ويدعونا إلى معرفته، ويدعونا إلى محبته، ويدعونا إلى الإقبال عليه.

فما دامت الدولة في بلاد المسلمين بمعزل عن الدعوة فإن حديثنا سيتركز على واجب الدعاة. سيكون دعوة إلى الله، والدعوة إلى الله تريد من الداعي والمدعو أن يتناصحا، وتطلب من الكل أن يتظافروا ويتعاونوا ويتناصحوا !

وسيكون درسنا هذا الأول في هذه السلسلة الموفقة إن شاء الله درسا عاما، نتحدث فيه عن الدين ومعنى الدين ومعنى الإسلام ومعنى الإيمان.

لاشك أنكم – معشر الشباب – وأننا جميعا نحتاج إلى فقه عملي في عبادتنا، كيف نعبد الله، كيف نصلي، كيف نصوم، كيف نقوم بواجباتنا اليومية، كيف نطبق ما أمرنا الله به على مستوى الأفراد. هذا نحتاج إليه.

لكن العمل الجماعي، العمل العام، العمل الذي يشمل جوانب الاقتصاد والاجتماع والسياسة، العمل الذي يريد أن يغير واقعا مكروها، واقعا مغضوبا عليه من قِبَل الله عز وجل؛

لأن الله عز وجل يقول: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[1] ومن كان كافرا بنص القرآن فالله عز وجل يغضب عليه، ومغضوب عليه من طرف المؤمنين الذين ينتظرون ويتشوفون إلى يوم يُحكم فيه المسلمون بكتاب الله وسنة رسوله. فهذا العمل العام يقتضي فهما شاملا واسعا لفقه العبادات، وفقه الحركة، وفقه الدعوة، وفقه البناء، وفقه العمل في الحقل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

هاهو أمامنا موعود الله عز وجل للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة أن يدخلهم ﴿**جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾[2]، والنزل هو مكان النزول والاستقرار. فالدنيا ليست إلا معبرا، ليست إلا قنطرة

(1) سورة المائدة، الآية 44.
(2) سورة الكهف، الآية 107-108.

إلى الآخرة. وها هو موعود الله للأمة، لأمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض ويمكن لهم دينهم ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا.

فلماذا نرى اليوم المسلمين مغلوبين مقهورين بعيدين كل البعد عن استحقاق أن يكونوا خلفاء في الأرض، تحكمهم أمريكا وروسيا وكل البلاد القوية المصنعة ؟ لماذا نرى على الأمة الإسلامية هذا الذل المنحط علينا من غلبة اليهود على بلادنا المقدسة ؟ لماذا نرى أن الخوف يغلب علينا وأننا لا نعرف طعما للأمن ؟ خوف من الحركات القوية الاستعمارية الجاهلية التي تلعب بدويلاتنا الهزيلة شرقا وغربا وتفعل بها ما تشاء، وتحقق بها أغراضها، وتنهض أذنابها في بلاد العرب لكي يحاربوا القومة الإسلامية في إيران. لماذا نرى هذا الذل وهذا الضعف وهذه الغلبة وهذا القهر؟ لماذا؟

ذلك أننا لسنا بالطبع، ووعد الله يتحقق ولا يتخلف، لسنا هذه الأمة التي تؤمن بالله وتعمل الصالحات. فمن هنا يجب أن نبحث في هذه السلسلة كيف نصبح أمة تؤمن بالله وتعمل الصالحات. ثم إن مصيرنا الفردي، مصيرنا يوم القيامة ، هذا هو الذي يجب أن يدور عليه هم كل واحد منا قبل كل شيء. موعود الله لنا في الآخرة يتوقف على أن نستحقه بالإيمان وعمل الصالحات.

فكيف نفعل؟ كيف نستحق أن نكون في صف الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ كيف نعمل ابتداء من حاضرنا هذا، الفاسد المنهزم الضعيف الذليل، لكي نبني مستقبلا للمسلمين صالحا منتصرا قويا. كيف نجاهد لإقامته فنستحق عند الله أن نكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخالدين في الجنات عند الله؟

كيف نفعل؟ إيماننا بال قديم عفَّى عليه الزمن، ونشأت أجيال نسيت الإسلام ونسيت الإيمان، وانسلخت

عن كلمة الله وكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إيمان بال ضعيف يريد تجديدا. نحن لا نكفر أحدا من المسلمين بغير برهان، وليس هذا دأبنا. ليس من مهمتنا أن نكفر المسلمين جماعات ولا أفرادا. مهمتنا أن نبحث عن الخطى الإيجابية التي تنهض بنا من الواقع الذليل إلى مستقبل العزة بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، العزة التي وُعد بها المؤمنون. إسلامنا قديم بال منهزم ضعيف مرذول ذليل، إسلامنا يعني هذا الإسلام المنحط. نحن المنهزمون لا الإسلام، الإسلام هو كلمة الله، وهو معنى قائم في الفراغ يتشخص في المسلمين البالي إيمانهم... أفرادا وجماعات. فإيماننا نحن هو البالي ولا بد من تجديده.

وبما أننا في مطلع هذا القرن، فإننا نبدأ حديثنا وعملنا لهذا القرن فما بعده إن شاء الله بالنظر في الطب النبوي، في العلم النبوي الذي ينبئنا عن كيفية تجديد الإسلام. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والحاكم

في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**». هذا حديث صحيح .

الأمر موقوف محدود بالزمان – على رأس كل مائة سنة– ونحن اليوم نعيش على رأس المائة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية. واختلف العلماء في معنى – رأس مائة سنة – فمنهم من قال على رأسها في النهاية، ومنهم من قال على رأسها في أول القرن، ولا مشاحة في هذا، فالأمر لطيف لأن نهاية القرن تتطابق وتتقارب وتتجاور مع بداية القرن الآخر.

وتكلم العلماء في قروننا الماضية عن المجددين في القرون الماضية، وكثر الاختلاف، فمنهم من قال إن المجدد هو الأمير الفلاني أو القائد الفلاني ومنهم من قال بل هم العلماء، ومنهم من قال بل هم الأئمة المجتهدون. على كل فأول

هؤلاء المجددين هو الإمام العظيم -العظيم بعزة الله لا بالتكبر على المسلمين- عمر بن عبد العزيز، الذي عاش حتى رأس المائة الأولى ومات على رأس المائة الأولى. كانت محاولته رضي الله عنه محاولة عامة شاملة. كان مجتهدا بلغ من العلم مرتبة الاجتهاد، كان فقيها وكان أميرا ملكوه، أوصله سليمان بن عبد الملك لعرش المملكة الأموية -التي تسمى «خلافة»- فأصبح ملكا ثم تخلى عن الملك الموروث.

تنازل عن هذا الملك وجمع الناس فأحلهم من تلك البيعة التي درج عليها الحكام من القرن الأول حتى يومنا هذا، وهي أن يبايعوا لأولياء عهد صبيان. يبايعون صبيا وينصبونه خليفة في زعمهم. وذاك وهم دحضه وأنكره الإمام مالك رضي الله عنه حين قال - عندما أخذوه وحملوه على جمل يطوفون به في المدينة - : «من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس، ألا وإن طلاق المكره لا يجوز». ذلك أن الملوك على عهده كانوا يحملون الناس على بيعة صبيانهم

بالحلف بالطلاق، يقولون : تبايع هذا الصبي أو امرأتك طالق. فاستفتوه فأفتى هذه الفتوى العظيمة قال: «طلاق المكره لا يجوز»، وهو إنما يعني أن بيعة المكره لا تجوز.

ثم بايع الناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بيعة صحيحة، استخلفوه عليهم، فحاول محاولة سديدة في تاريخنا أن يجدد لأمر هذه الأمة تجديدا عاما، على مستوى الحكم، على مستوى العدل الاجتماعي، على مستوى العبادة، على مستوى إقامة ما اعوج من كل أمور الأمة، فعاجلوه وسموه وقتلوه رحمه الله، فهذا أول المجددين في نظرنا.

ثم مضت القرون، كانت عهود الفتنة، خصوصا على مستوى الحكم حتى جاء القرن الرابع عشر فابتعث الله لهذه الأمة رجالا حاولوا أن يجددوا لها دينها، منهم علماء مجاهدون، ومربون، نخص بالذكر منهم الشيخ حسن البنا رحمه الله، هذا الرجل الذي يمثل في القرن المنصرم –القرن الرابع عشر– ذروة من ذرى العلم والعمل، ومن ذرى العلم

المؤدي للعمل. عاصره علماء ربما كانوا أوسع منه علما، لكن كانوا أَقَلَّ منه عملا. كان عملهم محدودا وكان علمه وعمله رضي الله عنه ورحمه علما واسعا وعملا هادفا. وجل ما نراه اليوم في البِلاَدِ العَرَبِيَّةِ مِنْ نَهْضَةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ بلغت إلى أقاصي الشَّرق والغرب وخَاصَّة في بلاد العرب هو من أثر الإمام البنا رضي الله عنه ورحمه .

فنعتبر هذا الرجل مجدد القرن المنصرم من بين المجددين، منهم العلماء والمجاهدون، وفيهم رجال. فأمر التجديد إذن حسب هذا الحديث النبوي الشريف موكول بعمل رجال. «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**». هذا الـ«من»، وهو اسم موصول، يدل على الفرد وعلى الجماعة. فعمل التجديد منوط باجتهاد الفرد المجدد والجماعة المجددة. الفرد كيفما كانت قدرته لا يستطيع أن يؤثر في المجتمع إلا إذا التف

من حوله رجال ونساء يساعدونه على الحق. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى الرجال وأعلم الرجال ومؤيدا بالوحي معصوما، ومع ذلك كان يعرض نفسه على القبائل في عكاظ وذى المجاز وفي سائر مواسم العرب، وعلى قبائل العرب أيضا، يقول من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي. فعندما نقول «من» هو هذا العامل، هذا الفاعل الذي يجدد، يكون فردا يبدأ عملا، لكن العبرة بعمل الجماعة. فإذا لم تكن ثم جماعة المسلمين فالتجديد يكون منحصرا في دوائر ضيقة. لكي يكون التجديد عاما يجب أن تكون ثم جماعة المسلمين.

هناك حديث ثان يحدثنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجديد الإيمان. روى الإمام أحمد في المسند والحافظ في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**جددوا إيمانكم، قالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : أكثروا من قول**

لا إله إلاالله» وهذا حديث صحيح أيضا. فها أنتم ترون أن هذا الحديث الثَّاني يعقد تجديد الإيمان بقول لا إله إلا الله، بالإكثار من قول لا إله إلا الله. الحديث الأول «**من يجدد لها أمر دينها**» ينيط التجديد برجال، بجماعة من المؤمنين، بجماعة من أئمة المسلمين، إمام واحد يجتمع عليه الأئمة، ففضل الله لا يحجر. ثم «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**» تنيط التجديد بذكر الله، بالإكثار من قول الكلمة الطيبة.

هنالك الأطباء الذين يجددون بِلَى الدين، إذا بَلِيَ الدين فلا بد من فَعَلَةٍ يعيدون البناء، لابد من رجال يجددونه.

كيف ؟ وبم ؟ يكثرون من قول لا إله إلا الله، لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم في هذا الحديث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أمرهم: «**جددوا إيمانكم**» عن الكيف حين قالوا: كيف ؟ وكيف تقتضي جوابا بوصف العلاج، كيف؟ بماذا؟ ها هو الدواء: «**أكثروا من قول لا**

إله إلا الله». وستدور هذه السلسلة من الدروس إن شاء الله على كيفية تجديد الإيمان ؟.

ونأمل إن شاء الله عز وجل أن تجتمع جماعة المسلمين فتكون هي من يجدد للأمة دينها، وتكون الفاعل في التجديد، حاملة أمانة «من» الذين وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإخباره ووعده الحق. أدوات التجديد وأهمها الإكثار من قول لا إله إلا الله. واليوم لن نستفيض في تفسير معنى قول لاإله إلا الله. يكون القول باللسان، القول بالعمل، يكون القول بالعقيدة ...

في الحديث الأول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من يجدد لها دينها**»، لم يَقُلْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مَنْ يُجَدِّدُ لهاَ أَفْكَارَهَا ولم يقل من يجدد لها أنظمتها، ولم يقل من يجدد لها أساليب عملها، ولم يقل من يجدد لها تواصلها مع الناس، ولم يقل من يجدد لها اقتصادها. بل قال كلمة

عامة شاملة هي الدين، يجدد لها دينها، والدين ما هو؟ يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[1]، فالإسلام هو الدين، وما معنى الإسلام ؟ وما معنى الدين لغة؟ دان يدين بمعنى خضع واستسلم .خضع لله فاعترف به ربا وائتمر بأمره وطبق تعاليمه. يقول الله عز وجل ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[2]. ما أمرنا بغير هذا. أمرنا أن نخلص لله الدين.

هذا كلام الله عز وجل، وهذا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فلننظر الآن في فقه التجديد من أين نبدأه؟ وكيف نبدأه؟ وكيف نبدأ الخطى لتجديد دين هذه الأمة، لتجديد الإيمان في قلوبنا، كيف نستحق أن نصبح من الذين يجددون الإسلام، من هذا الـ «من» الذين يجددون لها دينها. كيف نستحق أن نكون نحن الذين يجددون الإسلام وكيف

(1) آل عمران، الآية 19.
(2) سورة البينة، الآية 5.

نستعمل الدواء، كيف نتقبل العلاج النبوي الذي يدور حول الإكثار من قول لا إله إلا الله. كيف نفعل ؟

ننظر في فقه أئمتنا وعلمائنا نستأنس به لكي ننطلق في فهمنا نحن، فإن فهم الذين سبقونا بالإيمان فقه نافع لا شك، لكن إن نحن عرفنا كيف نستفيد منه، إن نحن أضفنا إلى فقههم، الواقف في زمنهم، المظروف بظروفهم، المتأثر ببيئتهم. يجب أن لا نقف متحجرين عند هذا الفقه فلن نتقدم إن فعلنا خطوة واحدة للأمام. لابد أن نستفيد من فقه من سبقونا بإيمان لكي نضيف إليه فقهنا نحن، خاصة فقهنا للواقع، لأن تجديد الدين لا يكون في الهواء، بل يكون في الواقع. تجديد الدين لهذه الأمة لا يكون في الكلام، لا يكون في حياة الأفراد، بل يكون في عمل الجماعة، في حياة الجماعة. الإيمان في قلوب المؤمنين يتجدد بالإكثار من قول لا إله إلا الله، لكن كي يخرج هذا الإيمان من حيز الذمم الفردية الإيمانية، لكي يصبح قوة فاعلة في تغيير المجتمع

الإسلامي وفي تغيير العا لم، لابد لنا من فقه الواقع لكي نعلم مَا هي القوى العدوة للمسلمين، ولكي نعلم ما هي القوى الكامنة في المسلمين، ماهي الطَّاقَاتُ التي يمكن أن نجمعها لكي يصبح للمسلمين قوة بها يغالبون أعداءهم، وبها يعرضون على العا لم كله رسالة الإسلام لكي يسمع العا لم مرة أخرى كما سمع أول مرة عندما كان المسلمون أقوياء.

لكي يسمع العا لم كلمة الله، ولكي تكون على الأرض كلها كلمة الله هي العليا. لابد لنا إذن بعد التبصر وبعد النظر في فقه من سبقونا بإيمان، أن نفهم نحن عن الله مباشرة. إذا كان الإنسان لا يملك أدوات الاجتهاد فإنه لا يستطيع أن يبصر في كتاب الله وفي أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم مناط التكليف، فيطبق ما أمر به على الواقع. إذا كان الإنسان لا يملك هذا ولا يملك أن يجتهد في هذا فهو يقلد. تقليدنا المتحجِّر، خاصة في ميادين الحكم، لمن سبقونا بإيمان، سيبقى بنا في مستنقع التخلف.هم رضي الله عنهم

اجتهدوا في زمانهم وبلغوا رسالات ربهم وحاربوا الظلم والكُفر ووقفوا في وجه الطاغوت على قدر فهمهم، وبتقديرهم لما فيه مصلحة الأمة في عهدهم وظروفهم.

أما نحن فلكي نفعل ما فعلوا يجب أن يَتجدد لنا إيمان، أن تَتجدد لنا إرادة جهادية حتى نصبح عاملين مجاهدين في سبيل الله، ويتجدد لنا علم مسبق على ضوئه نتحرك ونجاهد.

في الكتاب الأول من صَحيح الإِمام البخاري وهو كتاب الإيمان، ولأمر ما بدأ هذا الإمام رضي الله عنه صحيحه بكتاب الإيمان. ذلك أن كل فروع الشريعة إنما تتفرع عن هذا الأصل الفريد الوحيد وهو الإيمان، وسنرى فيما بعد أن الإيمان أمر جامع واسع يشمل كل ما أمر الله به وما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم. هنا نأخذ من كتاب الإيمان بابا هو الباب الأخير الذي جعله الإمام البخاري بمثابة ملخص لكل الكتاب. بعد أن ذكر الكثير

من أبواب الإيمان لخصها وختمها بكتاب أَخِير، قال: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، وقوله تعالى : «**إذا نصحوا لله ورسوله**». هكذا بوب البخاري ولم يخرج الحديث ولم يذكر الرواة، ونجد عند الإمام مسلم رضي الله عنه بزيادة قليلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

فها أنتم ترون أحبتي أن الدين يأتي في كتاب الله عز وجل مرادفا للإسلام، وفي الحديث النبوي الصحيح الذي رويناه هنا مرادفا للنصيحة، فلابد أن تكون كلمة دين وكلمة إسلام وكلمة نصيحة كلها تدل على مدلول واحد.

يقول الإمام البخاري رحمه الله: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، وقوله تعالى : «**إذا نصحوا**

لله ورسوله»، زاد عليه مسلم: «**قلنا لمن يا رسول الله، قال: لله ولرسوله ولكتابه»**. لم يذكر البخاري «لكتابه». قوله تعالى : «**إذا نصحوا لله ورسوله»**.

ورد في آخر التوبة، في قول الله عز وجل: ﴿**وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ**﴾[1]. سورة التوبة تتحدث عن الجهاد وعن أمر الله عز وجل للمسلمين بالنفر للجهاد، لكن استثنى الضعفاء. ﴿**لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ**﴾. فسماهم بنصيحتهم محسنين.

الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون، هذه

---

(1) سورة التوبة، الآية 91-92.

صفات للأمة المستضعفة ونحن اليوم أمة مستضعفة فينا الضعف الحسي والمعنوي، الأمة لا تملك من أمرها شيئا، إنما يملكه الأعداء وأذنابهم بين ظهْرَانَيْنَا. نحن مستضعفون. ونحن مرضى حسا ومعنى، الفقر والجهل يصحبه المرض الحسي والابتعاد عن الله عز وجل وعن معاني الإيمان. نحن مرضى ولا نجد ما ننفق، فالفقر المدقع هو الذي يحكم حياتنا اليومية وهو الذي يحكم حياة المجتمعات الإسلامية لوجود الأثرة ووجود الظلم الاجتماعي بيننا، ولهيمنة الاستكبار العالمي الجاهلي بوسائل رأسماليته الطاغوتية.

قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم: «**الدين النصيحة**»: هذا من باب قوله صلى الله عليه وسلم «**الحج عرفة**»[1] أي معظم الحج عرفة، فمعظم الدين النصيحة. وقال علماء آخرون: إن الحديث يحمل على ظاهره. فالإخلاص

(1) البخاري ومسلم.

هو الدين، وإذا كانت ثم مظاهر الدين دون أن يكون الإخلاص فليس ثمة دين.

في «**الدّين النصيحة**» إذن قولان للعلماء، إما يحمل على ظاهره فنقول الدين هو النصيحة أي الإخلاص في الدين، والإخلاص هو روح العمل، وإما نقول هو معظم الدين من باب قوله صلى الله عليه وسلم «**الحج عرفة**». ومهما كان فيبقى أمامنا أهمية تجديد معاني كلمة النصيحة. قال المازني وهو لغوي من علماء المسلمين: (نقول نصحت العسل بمعنى صفيته، نقول نصح الشيء معنى خلص، نقول النصح هو الخياطة والمنصحة هي الإبرة).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إن الدين يجمع ما تشتت من أمر الأمة». ليس هذا لفظه لكن معناه. «**النَّصيحة لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**» تعني جمع شَعَثهم. والشعث هو الأمر المتفرق المشتت كما تلم المنصحة بالخياطة. فيقول ابن حجر رحمه الله: كأن الذنب

يمزق الدين والتوبة تخيطه. قال هذا في تفسير كلمة «**التوبة النصوح**».

وفي الحديث النبوي حث على التوبة النصوح. معنى كون التوبة توبة نصوحاً أنها تجمع ما تشتت من أثر الذنب وتمزيقه للدين. قال بعض العلماء منهم الإمام أحمد: هو من الأحاديث التي يقال عنها إنها ربع الدين.قال النووي الحافظ: بل هو كل الدين. ويرجع هذا الخلاف إلى الخلاف الذي سُقناه في قول بعضهم إن معنى قوله «**الدين النصيحة**» أن معظم الدين النصيحة أو أن الحديث يحمل على ظاهره. ويقول الحافظ النووي تفسيرا لجملة «**الدين النصيحة**»: «إن النصيحة تحصِّل كل أغراض الدين لأن الدين منحصر في أمور: «**فالنصيحة لله**» وصفه بما هو له أهل والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه بفعل طاعته والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين إليه». هذا كلام الإمام النووي.

رد العاصين إلى الله باب من أبواب جهاد الدعوة. وثَمَّةَ جهاد غير جهاد الدعوة سنتعرض له في مستقبل الأيام إن شاء الله. روى سفيان الثوري عن عبدالعزيز بن رفيع عن أبي أمامة صاحب علي رضي الله عنهما قال: «قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من الناصح لله؟ قال: الذي يقدم حق الله على حق الناس». وهكذا يصف الله عز وجل عباده المحسنين بأنهم الذين لا يخافون في الله لومة لائم، الذين يقدمون حق الله على حق الناس. هؤلاء هم الذين ينصحون لله عز وجل. أما من كتم علما ليرضي مخلوقا فهذا لا يرضي الله عز وجل ولا ينصح لله عز وجل بل يخون أمانته.

رأينا كيف فسر الإمام النووي النصيحة لله وكيف جاءت عن الأثر المنقول المروي عن عيسى عليه السلام.

«**النصيحة لكتابه**» قال في تفسيرها الحافظ ابن حجر: «والنصيحة لكتاب الله هي في تعلمه وتعليمه وإقامة حروفه

بالتلاوة، وتحريرها بالكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده بالعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه». النصيحة لكتاب الله في تعظيم حرفه تلاوة وكتابة وتجويدا لأنه كلام الله العلي القدير سبحانه. ثم تعظيمه لأنه يحتوي على أمر الله عز وجل، فنعظم أمر الله عز وجل ونمتثله، ونحفظ حدوده فلا نتعدى حدود الله، ونعمل بما فيه، ونذب تحريف المبطلين عنه.

تُرى من هم المبطلون الذين يحرفون كلام الله؟ يكفي أن ننظر يمنة ويسرة لنرى من علماء السوء من يستشهدون بكلام الله عز وجل ليدافعوا عن الباطل، هؤلاء هم المبطلون. كل من أيد باطلا —باطل بدعة فردية أو باطل بدعة اجتماعية سياسية– فهو مبطل .

ثم «**النصيحة لرسوله**». يقول ابن حجر: «النصيحة لرسوله» بتعظيمه ونصره حيا وميتا، وإحياء سنته بتعلمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه». ما

أجود هذا الكلام وما أجمعه! يبتدئ بالتعظيم والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وميتا، لأنه إن غاب عنا شبحه صلى الله عليه وسلم، فسنته لا زالت ماثلة أمامنا متمثلةً في من يقتدون بها. السنة المودعة في الكتب علم، لكن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحية هي التي تتمثل في العلماء العاملين، وأنتم منهم معشر الشباب المؤمنين إن شاء الله.

ي‌نبغي أن تكون همتكم هكذا، أن تحبوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاملة في كل مناحي تصرفكم وتحرككم، ينبغي أن لا تقتصروا على السنة في العبادات فقط، بل في المعاملات، في الجهاد، نفعل كل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعله، وذلك بفقه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه واقعنا وفقه مهمتنا التي تنتظرنا. نجتمع لكي نفهم كل هذا، ولكي نطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا المجتمع، وإحياء سنته يكون

بتعلمها والاقتداء بالرسول الأكرم في أقواله وأفعاله، وبمحبته ومحبة أتباعه.

«**النصيحة لأئمة المسلمين**»: يقول الحافظ إنها «في إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خَلَّتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم». أقول: هذا إذا كانوا مقسطين، إذا كانوا عادلين، إذا كانوا يحكمون بما أنزل الله. يقول ابن حجر رحمه الله بعد هذا: «ورد قلوب الناس إليهم». ونضيف قائلين : إذا كانوا يمثلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم، وإلا فلا.

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، فإن لم تُجدِ التي هي أحسن فما عملنا ؟ هذا ما نتحدث عنه دائما.

قال رحمه الله: «ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد وهم العلماء العاملون. وتقع النصيحة لهم ببيان علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم». ونقول: الأئمة

المجتهدون هم شيء آخر غير العلماء المبطلين علماء السوء ديدان القراء الذين يدافعون عن الباطل بتحريف كلام الله.

وعن «**النصيحة لعامة المسلمين**» يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إنها تكون بالشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحبه لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه».

كلام هؤلاء العلماء رضي الله عنهم برنامج لعمل جهادي متكامل إن نحن فهمنا عن الله عز وجل أننا مدعوون، وأننا منتدبون، لتحقيق الغاية التي من أجلها خُلِقنا، وهي أن نعبد الله عز وجل لا نشرك به شيئا. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1] وعبادة الله عز وجل هو اتباع دينه، هو الإسلام، هو النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامة المسلمين. النصيحة

---

(1) سورة الذاريات، الآية 56.

لله عقيدة، النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم شريعة واتباع سنة، النصيحة لكتابه عز وجل هي قبل كل شيء الحكم بما أنزل الله في كل مناحي الحياة. النصيحة لأئمة المسلمين تعني الوضوح في أساليب الحكم وأسس الحكم ومناهج الحكم. النصيحة لعامة المسلمين برنامج اجتماعي متكامل.

لكن كيف نطبق هذا ؟ هنا نحتاج لفقه الواقع ولفقه التجديد، كيف نجدد الإسلام؟

في آخر جلستنا هذه إخوتي، وقبل أن تلقوا أسئلتكم إن كان عندكم أسئلة وكان لي متسع لأجيب عنها أقول: إن الإسلام دين جهاد وليس دين خمول. فلأننا تركنا الجهاد في سبيل الله وأعرضنا عنه، أذلنا الله عز وجل وضربنا بأعدائنا وبأخس أعدائنا وهم اليهود الصهاينة. الإسلام دين عدل لا دين استعباد وظلم، فالمبطلون الذين يبررون الاستعباد ويبررون الظلم هم أعداء الإسلام من بني جلدتنا. والإسلام

دين حق، دعوة إلى الله عز وجل. دعوة الفرد لله عز وجل لكي ينتقل من مراتب الإسلام إلى مراقي الإيمان، إلى ذرى الإحسان، فيستحق الجنة ويستحق رضى الله ويستحق معرفة الله عز وجل، الإسلام دين النصيحة .

والنصيحة هي الدين، والدين هو الجهاد والعدل والحق. قال الله عز وجل: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾. نسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا وأن يثبت قلوبنا على دينه وأن يمنحنا من الصبر والعزيمة ما يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيل الله المستحقين لموعود الله. آمين والحمد لله رب العالمين.

كيف نجدد إيماننا؟ كيف ننصح لله ورسوله؟